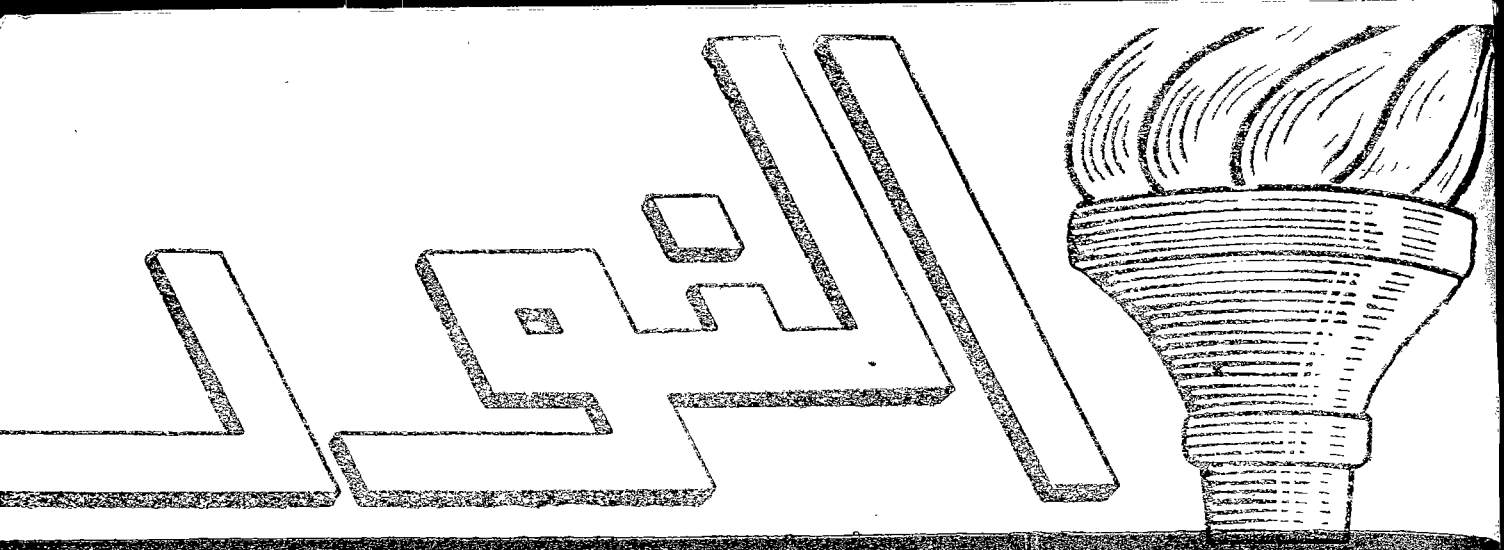

انا نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الـ

تصدرها

حركة الشبيبة الأرثوذكسية

صفحة محتويات العدد

بهجة القيامة
للارشمندريت ليف جيلله
الى النور بقلم الاستاذ كوستي بندلي
التوبة بقلم قدس الشماس اغناطيوس هزيم
اني انا هو
بقلم قدس الارشمندريت ملاتيوس صويتي
اخي العضو
بقلم الاستاذ حليم نهرا
الكنيسة الجامعة
بقلم الاستاذ بطرس كوفالفسكي
مات برديايف بقلم « النور »
قارع الناقوس
قصة لفلاديمير كورولنكو

النور

انا نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة

حركة الشبيبة الارثوذكسية

العدد ٥ ❀ ايار ١٩٤٨ ❀ السنة الرابعة

بهجة القيامة

بقلم الارشمندريت **ليف جيلله**

« المسيح قام ! . انه بالحقيقة قد قام » . فاليوم تتبادل الشفاه في جميع كنائس الارثوذكس في الشرق وفي الغرب على السواء هذه الكلمات الحسناء : المسيح قام ، وفي هذه الكلمات نجد لنا قانوناً لايماننـــا وتحيةً وامنيّة لاحبائنا . وانتم الذين تستمعون اليوم اليّ أفي وسعكم يا ترى ان تتقبلوا نعمة هذا الفصح ونوره وفرحه ؟ أفي وسعكم ان تشعروا بقوة قيامة يسوع المسيح . فيا احبائي اقول انكم تحتاجون في الواقع الى صوتٍ اوفر جدارةً من صوتي هذا القاصر لكي يوجه اليكم الدعوة للدخول في افراح سيدنا يسوع المسيح : انكم تعرفون حسبما اظن تلـــك الخطبة البالغة الجلال التي نطقت بها شفتا خطيب النصرانية العظيم القديس يوحنا فم الذهب والتي يتألف منها شطر من طقسنا الفصحي . فاسمحوا لي ان اعيد لكم بعض فقراتها :

« من عمل منذ الساعة الاولى فليأخذ جزاءه كاملاً . من جاء بعد الساعة
« الثالثة فلينضم الى المعيّدين شاكراً . من وفد بعـد الساعة السادسة فلا
« يشكّك ابداً لانه لن يخسر شيئاً مطلقاً . من تخلف حتى الساعة التاسعة
« فلا يتردّد بل فليتقدم بلا توانٍ . من تأخر حتى الحادية عشرة فيجب ان

« لا يخشى من جراء ابطائه شيئاً لان السيد كريم جوّاد يرحّب بالاخير
« مثل الاول . فادخلوا اذن كلكم الى فرح ربكم الاولين منكم والآخرين
« وخذوا الاجرة سواسية . يا ايها الاغنياء ويا فقراء افرحوا بعضكم مع بعض .
« من سلك منكم بالاماتات ومن توانى في الواجبات احتفوا جميعكم بهذا
« العيد . من صام منكم ومن اهمل الصيام افرحوا اليوم كلكم لان المائدة
« مليئة فلا يخرجنّ احد منكم جائعاً . تمتعوا بغنى انعام الله كلكم
« اجمعين » .

هكذا يتكلم القديس الذهبي الفم . انه يدعونا كلنا للدخول الى افراح الفصح . فان انتم دخلتم اليها كلكم فلن يكون لديّ ما ازيده على هذا الكلام من اجلكم . انما اسمحوا لي ان اوجه كلمةً الى ذلك الفريق منكم الذين يستصعبون ان يفتحوا قلوبهم الى هذه الافراح العظيمة والنعم السوابغ .

في ذلك اليوم الاول من الاسبوع ، قديماً حين وافت عند انبلاج الفجر الى القبر مريم المجدلية ومريم ام يعقوب وسالومي يحملن الطيوب كنّ يتخاطبن قائلات : من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر ؟ ان كثيرين منا اليوم يقفون وجهاً لوجه امام هذا السؤال الدقيق . كثيرون يؤمنون بان يسوع المسيح قد قام من بين الاموات في سابق الازمان . لكنهم يستصعبون الايمان بان يسوع المسيح يستطيع اليوم ان ينهض في دواخلهم . كثيرون منا اليوم بهذا الشكل او بذاك قد قتلوا — اذا جاز التعبير — يسوع المسيح في بواطنهم او خفضوا على الاقل قوته الى حدّها الاخير فيهم . اننا كلنا اجمعين على وجه التقريب نصطفّ على درجات متفاوتة في هذا الصف الاخير . اننا نلقي السيد المسيح في نفوسنا كأنه مدفون في قبر مع انه كان ينبغي ان يكون وجوده فينا فعّالا ظافراً وهّاجاً . ذلك ان خطيئتنا وهي اشبه بحجر ثقيل تضغط على صدرنا وتمنع يسوع من ان يتحرك في دواخلنا . ونحن نشعر بحالنا ونأسف لما بنا ومراراً كثيرة خاطبنا انفسنا وقلنا : من يدحرج لنا هذا الحجر ؟ هذا الحجر الذي ما يزال مكانه منذ سنوات بعيدة . فانتم الذين تكون هذه لحال حالكم يجب عليكم ان لا تفقدوا شجاعتكم . انظروا الى النسوة القديسات . انهنّ يذهبنَ الى القبر غير عارفات كيف يستطاع رفع الحجر عن الباب . وان جاز لنا ان نتكلم مثل ابناء البشر نرى انهنّ لا حظ لهنّ بالاطلاق او ان حظهنّ

على الاقل ضئيل في الوصول الى جسد السيد . لكنهنّ لا يصغينَ ابداً الا الى صوت محبتهنّ للمسيح ويثابرنَ على السير في الطريق . فافعلوا انتم ايضاً مثلهنّ . سيروا في الطريق وان يكن مجهودكم قد باء في الماضي على الارجح بالفشل او يكن مجهودكم هذا الحالي — اقول كأنسان — لا حظّ له بالنجاح . سيروا في الطريق وليكن لكم رجاء في هذا الفصح سنة ثماني واربعين وتسعمائة والف بان مسعاكم هذا الجديد الذي يذكيه الايمان والمحبة والرجاء سوف ينال جزاءه الحق مثلما نالت النسوه جزاءهنّ وكذلك ينهض المسيح ظافراً في دواخلكم . سيروا في الطريق . اريد ان اقول صلّوا بثقةٍ موقنين انكم ستنالون نعمة الفصح مع التحرّر من ربقة الشر واعملوا على ان تهربوا من كل اثم . ان النسوة لم يذهبن الى القبر والايادي فارغة بل كنّ يحملن الطيوب . فافعلوا انتم ايضاً مثلهنّ . احملوا بعض الطيوب الغالية الثمن . اريد ان اقول بعض الاعمال الصالحة التي تبرهن عن استعدادكم لقبول النعمة . سيروا اذن في الطريق والله يتولى ما يتبقّى .

والآن اريد ان اوجه كلامي الى بعض المسيحيين الذين يقولون : انا اومن بان يسوع المسيح قد قام . لكن هذا المسيح الذي قام لا اجده حقيقةً حيّةً مرئيّةً ملموسةً . اني لست القي العراقيل في طريق المسيح الا لكي يحيا فيّ لكنه رغم هذا كله يستمرّ على الوقوف بعيداً عني . اواه . يا ليته اتيح لي كما اتيح للرسل ان ينظروا وجههُ ولحمهُ وعظمهُ اذن لتغيرت مجاري حياتي وغدوتُ شهادةً حيةً تشهد لقيامتهِ : ان هؤلاء المسيحيين يكرّرون قول توما : «اني ان لم اشاهد اثر المسامير في يديهِ او لم اضع اصبعي في جروحهِ ويدي في جنبهِ فلستُ اومن» .

فيا من يتكلم على هذا المنوال عليك ان تعلم ان السيد الناهض من بين الاموات سوف يكون مظهره مظهر انسان وانه سيدعوك الى مشاهدة وجههِ واعضائهِ والى وضع يدك فيها . قال يسوع انه من المستطاع ان نطعمه حين يجوع وان نكسوه حين يعرى وان نزوره حين يسجنونه وقد فسّر قوله هذا للذين كانوا يستمعون اليه وهم مذهولون : « ان ما صنعتموه الى هؤلاء الصغار القائمين بينكم انكم اليّ قد صنعتموه » .

ان يسوع المسيح حاضر حضوراً حقيقياً في ابناء البشر وذلك لان البشر يؤلفون جسد يسوع المسيح دون ان تمتزج شخصيته على كل حال بهذه الكائنات .

لقد ارى يسوع نفسه بعد قيامته مراراً عديدة « تحت شكل آخر » كما قال القديس مرقص وقد ظنّت مريم عند القبر انه البستاني . وظنّ تلاميذ عمواس انه احد المسافرين . والرسل الذين كانوا يصطادون في البحيرة رأوه واقفاً على الشاطىء فظنّوه احد المتفرجين . وقد علمنا بهذه الظهورات انه يجب علينا من الآن فصاعداً ان نبحث عن وجهه بين وجوه الناس . لذلك فاننا عند كل خطوة نخطوها في جادة هذه الحياة نقف وجهاً لوجه امام السيد المسيح . لكننا لضعف ايماننا نظنه البستاني او احد المسافرين او احد المتفرجين . انه يترتب علينا ان نتعرّف الى وجه يسوع في الشوارع وبين الجماهير وفي المصانع وفي المكاتب وفي المخازن وفي كل انسان وفي كل امرأة تمرّ امام نواظرنا . بين المجرمين وعند الزواني وبين الفقراء والمرضى وعند المحزونين والمكروبين . يترتب علينا ان نؤمن بحضوره هذا وان نسجد له بخشوع وان نتعبّد لهذا الحضور ان استطعنا في الرجل او الامرأة التي تحمل عنوانه . يترتب علينا ان نغيّر هيئة كل انسان يمرّ امام ابصارنا وان نرجع اليه مظهره الحقيقي الذين غيّرته الآلام والمعاصي والرذائل والاتعاب والدماء والاوصاب وشوّهته حتى بات مجهولاً . نعم يترتب علينا ان نُرجع اليه وجهه الحقيقي وجه يسوع المسيح ربنا المعبود . اواه . لو كانت لنا عيون تبصر . لو كان في وسعنا ان نلجأ الى هذه الوسيلة وسيلة تغيير المظاهر في كل مكان وان نجعل منها منهاجاً لحياتنا اذن لكان كياننا كله يشع بشمس المسيح تضيء فينا ذلك لانه عند كل خطوة نخطوها نلقاه امامنا ونلمس قوة قيامته ونشعر بحقيقة حضوره فينا .

وانتم ايها الشباب على الخصوص انا اعلم انكم واقعيون . فليكن . انتم لا تريدون ان تعبدوا خيالاً فاقد الحسّ والدم والحياة . انكم على صواب . ان يسوع يقول لكم ما قاله لتلاميذه : انظروا يديّ ورجليّ جسّوني وانظروا اليّ . الروح ليس له لحم ولا عظم ، انه يقول لكم ما قاله لتوما : ضع اصبعك ههنا وانظر يديّ . هات يدك ايضاً وضعها في جنبي . ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً ، وحين يقول لكم هذا يريكم يديه ورجليه . يريكم الرجال والنساء الذين منهم تتألف اعضاء جسده . هؤلاء الذين فيهم يحضر على الدوام . انكم حالما تنحنون فوق جراحات المسيح ، اريد ان اقول حالما تنحنون فوق تعاسات الناس لكي تواسوها تشعرون على نوع ما بحقيقة قيامة المسيح وتنظرون في الواقع شخص المخلص الحيّ وتفهمون حقيقة الفصح وتجاوبون مع توما : « ربي والهي ! » . . . . . .

الى النور

يا نور من نور ، يا يسوع السيد ، اعطنا نحن العاملين المتضعين في كرمتك نحن الحصّاد الضعفاء اذ دعوتنا الى الحصاد ، اعطنا ان نحب اكثر فأكثر نورك الالهي . اعضدنا كي نستطيع تطبيق مبادئك النيرة التي تحبها ، مبادىء المحبة .

يا نوراً لا يخبو وحكمة تتلألأ ...

يا يسوع لقد وعدت ان تكون مع كنيستك حتى انقضاء الازمنة ، مع ارثوذكسيتك التي انت رأسها وحاميها . . .

استمع الى صلاتنا ، صلاة تتصاعد من قلوبنا الحارة . ابعث بنفحة ملؤها النور ، نفحة المحبة المتناهية ، في ذلك المشعل الذي ما يزال يضيء منذ الفي سنة على العالم نوراً ، فالعواصف تهب على المشعل يا يسوع ولكنا متأكدون من انه لا ينطفىء . لان ابواب الجحيم لا تستطيع شيئاً ضد نورك ، والمحبة الساطعة اقوى من الضغينة الجحيمية . نحن واثقون يا يسوع لانك قهرت العالم ، قهرت الموت والجحيم .

ايها السيد اجعلنا اهلاً ان نحملك انت النور الابدي الى اخواننا الذين هم في الظلمات منقادين الى الحضيض والمادة ، الى الذين يتطلعون بحيرة وشك الى السماء الصاخبة مفتشين عن النور والحقيقة وهم على وشك اليأس .

نعم ، ايها المخلص ، سنحمل النور اليهم حتى اذا ما رأوه ورأيناه ننشد ترانيم الشكر بقلوبٍ تملؤها انوار الفجر الابدي ، انوارك البهية الناعمة ايها الاله ...

يا يسوع ، نور من نور ...

كوستي بندلي

وفي الختام اترك صوت الكنيسة ينهي هذا الكلام . فاسمعوا هذه القطعة البالغة الروعة التي يختم بها الطقس البيزانطي صلوات سحر الفصح : « اليوم يوم القيامة . فسبيلنا ان نتلألأ في الموسم . ولنقبّل بعضنا بعضاً . ولنقل بعضنا لبعضٍ : يا اخي . ولنصفح لمبغضينا عن كل شيء في القيامة . ولنهتف هكذا قائلين : المسيح قام من بين الاموات دائساً الموت بموته والذين في القبور وهبهم الحياة » .

« خريستوس انستي » ! المسيح قام !

نقلها الى العربية

الاستاذ ر. ف. ع.

التـــــــوبة

بقلم قدس الشماس
اغناطيوس هزيم

التوبة . وما التوبة ؟ تاب فلان عن العمل الفلاني تعني ان ذلـك الانسان قطع عهداً على الا يعود الى فعلته تلك وبما ان التوبة عادةً تكون عن اعمال شريرة فأننا نقدر ان نوضح معنـاها مع شيء من التعميم فنقول : التوبة تفترض وقوع حدث سيء من قبل شخص، هذه هي النقطة الاولى . ذلك الشخص يعي سوء فعلته ، هذه هي النقطة الثانية واخيراً يعاهد ذلك الشخص الله انه لن يعود فيما بعد الى ما فعل. واظن ان لا مهرب من التوسع قليلاً في كل من هذه النقاط الثلاث :

النقطة الاولى : ان وقوع الخطيئة ، لأمر اعتيادي تحدث منه الالوف والملايين كل ساعة وذلك لاسباب عديدة اهمها : ان الانسان بطبيعته قابـل للخطيئة . نعم انه مخلوق على صورة الله ولكنه ليس الله ذاته ولا شك بأنه اقل كمالا من خالقه الى حد متناهٍ ، الانسان ظل للكمال او على الاصح فيه ظل الكمال ، اما الكمال نفسه فمستقل عنه جوهراً وحيث لا كمال بالجوهر ، هنالـك امكان الخطيئة بالجوهر . غير اننا اذا ما قمنا بواجباتنا الروحية حق القيـام فدعونا الله وسمعنا منه واقتربنا من القرابين المقدسة لتناول الجسد الكريم والدم النقي اذا ما فعلنا ذلك نكون قـد اسقطنا الحاجز الذي يجعلنا بعيدين عن الله واذا بنا في حضرة الخالق واذا بالانسان الظل للحق والكمال يصبح هيكلاً للروح ، علية يصح ان يصنع السيد فيها الفصح مع تلاميذه .

ولكن الانسان سيد الخليقة فان اخطأ طبع العالم هذا بخطأه واذا شذ ختمه بشذوذه وفي كل زمان ومكان العالم يتحمل اخطاء الانسان فبدلاً من ان ينبت له الخيرات للخير يستخدم الانسان تلك الخيرات للشر فيكون خير الارض وبالا عليها وبالا على الانسان الموكول اليه امر تكييفها . العـالم يئن ويتوجع والانسان نسي ان الخطيئة قد تراكمت اكثر مما يجب ان يكون ذلك فانقلب كل شيء الى عكس

ما كان يجب ان يكون فالأخ يخاصم اخاه والولد اباه وامه والجار جاره ولا يدري الناس لماذا يتخاصمون حتى انتهى بهم الامر الى الخصام على توطيد السلم . يالها من مهزلة ، يا له من تناقض فاضح . الطبيعي في العالم ان يتطور لا ان يتغير ويتبدل والطبيعي ان العالم يتكيف كما يشاء الانسان لا الانسان حسب مقتضيات العالم اذ العالم لا ارادة له بينما الانسان مريد فاعل ، والوضع غير الطبيعي هو وضعنا اليوم حيث ضاع المقياس الصحيح للحق . لم نعد ندري مـا هو مقياس الصحة بينما المسألة محلولة منذ الخليقة . حلها الله في الانسان لكي يحلها هذا في عالمه . نعم يجب ان يعود الكائن البشري الى المنبع الالهي دون اي تردد فيقوي صورة الله فيه ويقلب العالم حيث يعيش الى مكان هو ايضاً فيه ظل للسعادة . الحقيقة ان العالم يئس من نفسه فلجأ الى التهرب من البحث في علله . ترك الصميم وهـا هو يرتطم بالدنيويات فاذا هذه كالماء كلما قبض عليه تملص من بين الاصابع .

وقوع الخطيئة ممكن سهل لوجودها في الانسان وعالم الانسان .

النقطة الثانية : ان وعي الانسان للخير او الشر ضروري جـــداً لقيامه مع الاول ضد الثاني . والوعي تفتيش في نفس الانسان عن الادران والاكدار التي تشوهها ، فهو عمل جدي ولذلك فهو يتطلب وقتاً مثل اي عمل ثانٍ . فكم من الوقت يا ترى نصرفه في عودة الى انفسنا ندرسها وندقق الدرس ونخرج منهـــا بمعلومات صحيحة عنها .

هل ننتقد انفسنا من وقت الى آخر ؟ اذا كنت لم تعِ نفسك حتى اليوم ، كل يوم ، اذا لم تكن قد وقفت منها موقف الرائي الثاقب فأنك لن تصل يوماً الى ان تقول : يا ابن داود ارحمني . اذا لم تر نفسك كفي مرآة فأنك لن تشعر بالحاجة الى مسّ هدب السيد او القول له: اخطأت الى السماء وامامك ولست مستحقاً ان ادعى لك ابناً ، او ارحمني يارب فانني رجل خاطىء . واذا لم تقل ذلك بعـــد وعي فأنت خاسر نفسك ، وماذا ينفع الانسان لو ربح العـــالم كله وخسر نفسه ؟ ان يجهل الانسان الاشياء الخارجية الثانوية ذلك امر يمكن التسليم به ، واما ان يجهل ماهية نفسه فذلك غير مقبول . ولا يظن البعض ان المقصود هنا من معرفة النفس درسها علمياً ومعرفة تركيبها ، كل ما اقصد بذلك هو ان كل انسان يعرف اذا كان صافي القلب سليمه حسن الطوية لا ضغينة ولا حقد ولا حسد فيـه ، يعرف اذا كان لم يرتكب

عملاً مشيناً ، ام هو عـــلى عكس ذلك ، فالمطلوب اذن فطري وكل انسان ذي سليقة سليمة يقدر ان يعرفه .

النقطة الثالثة : اذا ما وعى الانسان خطيئة قطع عهداً امام الله على نفسه الا يعود اليها . هذا هو الحكم ، او القرار الاخير الذي يصدره الانسان الواعي على نفسه . هـذا هو الباعث الى القول « ارحمني يا رب انا الخاطىء » . كم مرة يقف الفرد منا عاجزاً امام الوفاء بوعده ، كم مرة نجد اننا تعهـدنا باشياء لا يمكننا القيام بها ، والأهم من ذلك كله : كم مرة قطعنا عهداً على انفسنا ولم نرد ان نتممه ؟

اذا ارتكبنا الاثم مرة ثم عدنا اليه فذلك ينتج عن واحد من اثنين اما ان يكون الاثم قد اصبح فينا متأصلا والحالة اذن غير طبيعية واما ان نكون مدركين انه الاثم واننا نقصد به نفسه وعندئذ نكون اثيمين بالفعل ، وكلا الحالين يحتاج الى اصلاح . ان العهد لا يكون باللسان لان اللسان لا قيمـــة له اذا استقل عن المتكلم . يؤخذ الانسان بكلامه لان هذا الكلام يفترض وعياً من القائل ومسؤولية فكيف اذن بالوعد الذي يأخذه شخص في الهدأة العميقة ، في التؤدة والسكون امام الله ملك الملوك ورب الارباب ، كيف بالوعد الذي يقـــدمه الانسان لربه وخالقه كأنه يعتذر عن جريمة اقترفها . والحقيقة ان كل خطيئة لا تتوجـــه الى الخاطىء فحسب وانما الى الله نفسه لان الشيء الذي يتشوه في الفاعل هو صورة الله فيه وليس اللحم او العظم اللذين يكونان مظهره الخارجي .

الزمان زمان توسل واعتراف . ان الرجوع الى النفس ضروري في هذه الايام ولا شك انكم واجدون فيهـــا ما لا تريدون فاعرفوا عناصر الارواح الشريرة وتقدموا بخوف الى الله طالبين الغفران والمسامحة . لا تخافوا ان الله غفور ولكن اعرفوا انكم بحاجة الى الغفران لمعرفتكم زلاتكم . لان التوبة وعي السيئات التي فعلها الانسان والتعهد امام الله بعدم العودة الى عملها . فزد حياتك خيراً على خير . السيد قادم فهيىء له مكاناً يستريح ، هيىء له غصن زيتون تلقيه امامه ، وقلبـاً اذا ما نطق يستحق ان يقول : مبارك الآتي باسم الرب . هيىء له علية يقيم فيها الفصح مع تلاميذه .

لا اوقـــات دوام

الله لا اوقات دوام عنده . ففي كل وقتٍ تطلبه تجـده . وفي كل ساعةٍ تقرع بابه يفتح لك صدره . وليس من زمنٍ ابداً لا يمكن ان تجد الله فيـه . ففي النهار وفي الليل وفي الصباح وفي المساء وفي الصيف وفي الشتاء تجـــد الله دائماً حاضراً مستعداً لـكي يشفي المريض ويعزّي الحزين ويلهم الانسان الى ما فيـــه خيره . ويستحيل ان تشعر انت بوجودك في اي مكان دون ان يكون الله في ذلك المكان نفسه ايضاً مستعداً كل الاستعداد مقتـــدراً كل الاقتدار يشاء كل المشيئة ان ينقذك من مصاعبك .

ولا يطلب الله منك لقاء هذا كله الا شيئاً واحداً هو ان تنظر اليه بقلبك كله ، مؤمناً بانه سيصنع اليك هذا الذي تطلب منه صنعه . فان لم يكن قلبك منصرفاً اليه بكليته وان انت صليت معتقداً بان صلاتك ان لم تنفعك فانها على الاقل لا تؤذيك فلا تنتظر ان تنال منه شيئاً .

انك ان نظرت الى الله في صلاتك واعصابك هادئة غير متوترة وقلبك ساكن غير مضطرب انك ان نظرت اليه باطمئنان وثبات واصرار وعناد ، بادرت النتائج مقبلة اليك ولا ريب . وكلما كانت الملمـات شديدة كلما كان علاجها على الله سهلاً . يجب عليك فقط ان تنظر الى الله بقلبك كله لان الانسان المتقلب الذهن لا يثبت في جميع طرقه .

اكثر الصلوات قوّةً هي هذه الصلاة البسيطـــة : « كفوا واعلموا اني انا هو الله » .

إمت فوكس

« انني انا هو ... »

بقلم قدس الارشمندريت

ملانيوس صوبني

ليست قيامة المسيح من القبر في اليوم الثالث امراً غريباً على من يطالع الانجيل المقدس بامعان وروية . ذلك ان هذا الحادث يبدو واقعياً وطبيعياً ، بعد ان سبق السيد المسيح فانبأ عنه تلاميذه في اثناء حياته العملية على الارض .

اسمع اليه ، له المجد ، ينير اذهان تلاميذه عن كل ما سوف يحدث له اذ يقول لهم : « ان ابن الانسان سوف يسلم الى ايدي الناس ، فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم. مت ١٧ : ٢٢، مر ٩: ٣٢ ويو ٩ : ٤٤ » وفي موضع آخر يقول لهم : « ها نحن صاعدون الى اورشليم وابن الانسان يسلم الى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه الى الامم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه وفي اليوم الثالث يقوم . لو ٢٠ : ١٨ و١٩ » .

على انهم مع الاسف ، بالرغم من كل هذا لم يكونوا ليفهموا ما كان يحدثهم به. ولم يدخل الايمان بقيامته قلوبهم الا بعد ما رأوه ناهضاً من الاموات ومخاطباً اياهم وآكلا معهم .

الا يلوح عجيباً ومستغرباً كيف ان التلاميذ والاحباء شكّوا بكلام المعلم والرب بينا الكتبة والفريسيون صدقوه وخافوا تحقيقه وراحوا يحسبون لانجازه الف حساب ؟ ! الم يذهب هؤلاء الاخيرون الى بيلاطس ، قبل القيامة ، قائلين : « ان هذا المضل قال وهو بعد حي : انني بعد ثلاثة ايام اقوم . فمن يضبط الحجر الى اليوم الثالث . . مت ٢٧ : ٦٣ » حقاً انه لامر مدهش ان ينسى التلاميذ حالا كلام سيدهم وحبيبهم وان يذكره اعداؤه ! . .

ومن الادلة القاطعة على ان الرسل قد نسوا كلام الفادي ، او انهم ما كانوا

ليعتقدوا بتحقيق نبوءته عن صلبه وقيامته ، ما اجاب به التلميذان الذاهبان الى عمواص عندما مشى السيد معهما وخاطبهما في الطريق وشرح لهما الكتب : « اننا كنا نرجو ان يكون هو المزمع ان يفدي اسرائيل ولكن ، مع هذا كله ، فاليوم هو ثالث يوم لحدوث ذلك . لوقا ٢٤ : ٢١ » .

وما يقال عن حادث عمواص يمكن قوله عن حادث ذهاب مريم المجدلية الى القبر وتشككها بالقيامة . اذ انها رأت يسوع يخاطبها ولكنها لم تعرفه حالا بل سألته ظانة انه البستاني... وقل هذا ، واكثر منه ، عن باقي التلاميذ — وخصوصاً توما — الذين لم يستطيعوا تصديق حادث القيامة — بالرغم مما سمعوا من نبوءة المخلص عنها — الا بعد ان تأكدوا ذلك بطريقة محسوسة ملموسة . . .

* * *

ومع هـــذا ، فلا تردد التلاميذ ولا تشكك توما ولا خوف النسوة حاملات الطيب بمستطيع ان يسند دعوى اعداء ومحاربي عقيدة القيامة الثابتة ثبوت الشمس في رائعة النهار .

واننا لنؤكد لمن يريدون ان ينالوا من هـذه الحقيقة الراهنة انهم مهما حاولوا من هجمات وشنوا من حروب وارهفوا من سهام مسمومة ضد قـــلوب المؤمنين بقيامة الفادي من القبر في اليوم الثالث ، فانهم لن يزيدوهم — اي المؤمنين — الا رسوخاً في العقيدة وثباتاً على الايمان . ذلك ان المؤمنين كانوا وما زالوا ، منذ يوم القيامة حتى الآن ، مسلحين بذلك القول الخالد الذي وجهه السيد المسيح الى تلاميذه بعد القيامة : « ما بالكم مضطربين ولماذا تخطر افكار في قلوبكم ؟ انظروا يدي ورجليّ اني انا هو . جسوني وانظروا فان الروح لا لحم له ولا عظم كما ترون لي . لوقا ٢٤ : ٣٨ و ٣٩ » .

فهل يحتاج المكابرون ، بعد هـذا ، الى برهان جديد ؟ ؟ ؟ ابصروا انتم ! . . .

أخي العضو !!! ...

بقلم الاستاذ

حليم ميخال نهرا

الصراحة عجيبة ، والحقيقة اعجب العجائب !

من انت يا ترى ، حتى اصارحك ؟ ومن انا حتى اقوم بهذه المهمـــة ؟ السهلة الوضع الصعبة التنفيذ !

لقد اوجد كل واحد منا لاجل الآخر ...

لا تقل ما هي رسالتي ؟ وكيف يجب ان تكون؟ بل قل من انا؟ وهل متجسمة فيّ العوامل التي تتطلبها تلك الرسالة ؟ نعم ، يا اخي ، انت تسلك طريقاً طويلة ، بل شاقة ، وطولها ناتج عن انها تؤدي الى نهضة ، اوجدت من اجلها حركتك ... ترى صعوبة في عملك ، لانك غير مقتنع من صعوبة رسالتك ، ومن صعوبة تحرر الاوساط التي تعمل فيها لتعتقها من عبودية انظمة حياتها الحاضرة .

طريقنا ، حركتنا ، للاصلاح هي ، اذن شاقة ، اذن طويلة ، اذن لا تتعجب يا اخي ، فالعدو خصم عنيد متشبث . لذلك قبل ان تعمل الهدم في غيرك ، اهدم صرحك انت ، لان بلوغ حيـاة جديدة ، يتطلب اولا تحقيق هذه الحياة . ليست الصعوبة في طول الطريق ووعورتها ، وانما الصعوبة في المحافظة على مجرى سعيهـا استمر في التضحية والعمل والجهاد ، كي تحفظ الحركة من عوامل الانحطـــاط .

فيك عامل ، هو الرغبة : كلما رغبت في تحقيق شيء ما ، كلما ازددت تعشقاً له في نفسك ... كلما تأصل في كيانك ، كلما زدت توقاً اليه وحنيناً ...

العضو الذي يعمل لدى الهنيهة الاولى من العمل ... لهو عضو ، بعيـــد عن الايمان القوي في قوة عقيدته ومبدئه ، في قوة شخصه وارادته ، هو عضو مرتزق ، لانه لا يحس ولا يحيا ...

لا تنظر الى حركتـــك ، حركة يوم فقط . . . لانك بذلك تكون احطّ المنحطين ، واجهل الجاهلين ... فحركتك عمل متواصل ، والعمل المتواصل حياة ،

والحياة استمرار . . ، العضو العامل، المخلص، هو من اختار لنفسه طريقاً طويلة... شاقة ... كي يعمل بجد وتضحية ، دون اي نفور ...

اخي العضو ، ماذا يترتب عليك قبل كل شيء ؟

انظر الى الحقيقة بعين الحقيقة : من هنا ترى ان نضالك لا راحة فيـــه ، بل نضال مستمر ... تحسّب دوماً للطوارىء ، واستعدّ لها .

لن نتقدم ، ولن نفوز ، طالما نحن ننام على اكاليل الغار ...

لا تستعد للنضال ، لهدف واحد ، هو الراحة بعده ، لان نهضة اصلاحية مبنيـة على هدنة بعد قتال ، لفاشلة . اذا تهادنت مع الانحطاط ، تكون هدنتك مبتورة ، وتصبح انت بدورك الانحطاط... لا تتراجع ، ولا تتوقف ، لانها خيانة . . . وخير لك لو لم تخضها ، وخير للحركة لو لم تبصر النور ، من ان تكون قائمة على هذا الشكل... لا تتوقف لان القتال المستمر حياة، ولان الوقوف موت،فكيف يتم التوفيق بين الموت والحياة ؟

طريقنا صعبة ، وقطف الثمار اصعب ، ومعركتنا معركة حياة... اقصد بذلك انه متوجب علينا ان ندفع نحن ثمن نضالنا، لا ان نقبض ثمن هذا النضال من الغير...

كونوا مثل الذي بذل نفسه لاجل خطايانا ، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير .

علينا ان لا نكون معجبين ، نغاضب بعضنا بعضاً ونحسد بعضنا بعضاً .

اعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة ، لكي تمتلؤا الى كل ملء الله كونوا صادقين في المحبة ، تنموا في كل شيء .

انظروا كيف تسلكون بالتدقيق ، لا كجهلاء بل كحكماء ، مفتدين الوقت لان الايام شريرة ، من اجل ذلك لا تكونوا اغبياء ، بل فاهمين ما هي مشيئـــة الرب ... فلنع ما نقدم عليه من اعمال ، ولتتسع دائرة عملنـا ونضالنا ولنشارك الغير في كل عمل لاننا اوجدنا للخير والعمل : « لن اصبح رجلاً الا عنـدما اشارك التعساء في تعاستهم ، والاشقياء في شقائهم والفقراء في فقرهم والمجاهدين في جهادهم» (هنري بوردو) .

وختام القول ما وجهه رسول الامم بولس الى اهـل كورنثوس : « افرحوا ايها الاخوة ، اكملوا ، اهتموا اهتماماً واحداً ، عيشوا بالسلام واله المحبة والسلام سيكون معكم ! » .

الكنيسة الجامعة

للاستاذ بطرس كوفالفسكي

ان اساس الوحدة الجامعة للكنيسة يقوم في العشاء السري المقدس ، وتستمر هذه الوحدة الى الابد باشتراك المؤمنين في كأس واحدة وخبز واحد ، متحولين بواسطة الروح القدس الى جسد المسيح ودمه . ويجب ان يرافق المناولة الايمان بحقيقة السر ، لانه حسب قول الرسول : « الذي يأكل ويشرب جسد السيد دون تمييز وبصيرة ، انما يأكل ويشرب دينونة لنفسه » (اكور : ١١ : ٢٩) .

ان جميع الذين يتناولون دم المسيح وجسده ويعترفون بوجود نعمة الروح القدس في الاسرار يؤلفون جزءاً من الوحدة الكنسية الجامعة . اما ذلك الذي يرفض الكأس وينكر نعمة الروح القدس في الاسرار ، فانما يضع نفسه خارج الكنيسة .

والهرطقات امراض داخلية تجبر الكنيسة على ايضاح العقيدة وتقوي وحدتها . لان الكنيسة ، اذ تحفظ الحقيقة وتثبتها ، تبعد عنها جميع الذين تركوا الطريق القويمة وظلوا مثابرين على تكبرهم وتعجرفهم . ان البدع لتحرر الكنيسة من اولئك الذين لا يعترفون بها ويرفضون ، بملء ارادتهم ، معونة الاسرار .

وتتجلى الوحدة الجامعة في الصلاة المشتركة (الصلاة العمومية) وقيمتها ابلغ من قيمة الصلاة الفردية « لأنه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فاني اكون بينهم » (متى ١٨ : ٢٠) .

ولكن الوحدة الجامعة للكنيسة لا تضم المؤمنين على هذه الارض فحسب بل هي تجمعهم ايضاً الى الكنيسة السماوية . فالقديسون موجودون وحاضرون بكل تأكيد وبشكل منظور في الكنيسة بواسطة صورهم ، لان الأيقونة ليست رسماً للقديس ، بل هي صورته صائرة روحية ومتجلية . وان المعنى العميق للايقونات في

الارثوذكسية كائن في هذا التبديل الروحي وهذا الحضور السري .

وتلك الوحدة بين الكنيستين السماوية والارضية تظهر في تكريم القديسة العذراء اكثر من ظهورها في اي محل آخر . ولرسالة المحبة للقديس يوحنا ، وتعليمه عن الروح القدس والثالوث الاقدس قيمة خاصة في الارثوذكسية لانه كان الابن المتبنى لتلك التي كانت طوال ثلاث وثلاثين عاماً ، شاهدة لجميع ايام حياة السيد والتي حفظت كل اقواله « متفكرة بها في قلبها » (لوقا ٢:١٩) .

اما الفروض الالهية فهي تؤلف مركز حياة الكنيسة الجامعة . كما ان الخدمة الالهية هي مركز هذه الفروض وسر الافخارستيا مركز هذه الخدمة الالهية .

وما الفروض الالهية الارثوذكسية سوى نتيجة عمل الكنيسة بكاملها :الاساقفة فيها والاباطرة ، والرهبان والمدنيين والمؤمنين من اي نوع كانوا ، طوال الف عام. وتمرّ حياة المسيح والقديسة العذراء والقديسين في الدورة السنوية لهذه الفروض ، في الاناشيد والتراتيل والصلوات ، وفي التسابيح والقداديس .

وان مجموع الفروض الارثوذكسية غني ومتنوع الى درجة لا نهائية ، فهو ليس تذكاراً للحوادث الانجيلية فقط، بل ان الارثوذكسية لتحياه واقعياً في كل عام. وان هذه الفروض تبلغ قوة خاصة وفائقة في الايام الاخيرة من الاسبوع المقدس وفي ليلة الفصح اللامعة عندما تعبر الوحدة في المحبة المسيحية عن نفسها بقبلة الفرح المثلثة وعندما يصبح الايمان بالقيامة يقيناً تاماً قد بنيت عليه كل رسالة قيامة المسيح : « لو لم يكن المسيح قد قام لكانت كرازتنا باطلة وايمانكم باطلاً ايضاً » (١كو ١٥:١٤)

وقد استقام اشتراك جميع المؤمنين في الخدمة الالهية بكل ورع في الارثوذكسية. ويتحقق هذا الاشتراك في وحدة المناولة من كأس واحدة وخبز واحد لان دم المسيح هو الذي يجعلنا اقرباء بعضنا لبعض ، كما يقول الرسول : « انتم الذين كنتم سابقاً متباعدين قد اصبحتم الآن اقرباء بدم المسيح » (افسس ٢:١٣) . ان القرابة بدم المسيح هي الانتصار الوحيد الممكن على الاختلافات الجنسية ، فنحن اقرباء بالدم لجميع الذين يتقربون من كأس المسيح .

وتتجلى الوحدة الليتورجية في الخدمة الواحدة التي يشترك فيها كهنة عديدون، وفي خدمة وحيدة على كل مذبح ومن قبل كل كاهن في يوم واحد، وفي السيامة

بالليتورجيا لان هذه السيامة تمثل الزواج السري المتقدم مع الكنيسة ، وعلى الاخص في وظائف الشماس الذي يؤلف خط اتصال دائم بين الكاهن والمؤمنين .

واننا لنشعر بالوحدة الجامعية في الكنيسة اثناء خدمة « التقدمة » التي تسبق الخدمة الالهية ، اكثر من اي موضع آخر ، وهي تتحقق عندما يجمع الكاهن كل الكنيسة والقديسين الاموات والاحياء الممثلين بقطعات الخبز ، على الصينية حول الحمل ، وعندما يرفعها في وسط الخدمة قائلاً : « التي لك نقدمها لك على كل شيء ومن جهة كل شيء » . وعندما يضع ، في ختام الخدمة الالهية ، القطعات في الكاس المقدس ويصلي هكذا : « اغسل ايها السيد بدمك خطايا الذين قد ذُكروا هنا » .

ان الرمز العميق لوحدة الكنيسة الافخارستية يتحقق ايضاً عندما يحمل كل مؤمن خبزه الافخارستي وعندما يقتطع الكاهن من هذا الخبز قطعات توضع الى جانب الذبيحة وترمز الى اولئك الذين قد قدمت هذه القطع من اجلهم .

وان مجموع الخدمات الارثوذكسية ليس عبارة عن طقس فقط ، بل هو حياة الكنيسة نفسها ، وهو يرتبط باسماء اكبر اباء الكنيسة . انه ليس شرقياً تماماً كما ان الانجيل والمسيحية ليسا كذلك ابداً ، بل هما ، رغماً عن منشأهما الشرقي ، عالمان شاملان. وان كتابات القديس يعقوب الرسول والقديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا الذهبي الفم والبابا القديس غريغوريوس الكبير لهي ميزات الكنيسة بكاملها .

والكنيسة عضوية حية تجد جذورها في العائلة التي هي الخلية المسيحية الاولى ، الكنيسة الابتدائية ، وفي الاخويات الدينية ، واخيراً في الكنائس القومية . ذلك ان كل امة او كل شعب ، حين يتطور بحرية ، يحمل الى كنز الكنيسة المشترك حصته من التجربة الروحية .

ان كل ارثوذكسي مسؤول ، في حدود امكانياته ، عن مصير الكنيسة ومقدراتها ، وكل واحد يجد فيها مجالا لتطبيق مواهبه عندما يشتغل في عمل واحد مشترك كما يعمل اعضاء جسم واحد رأسه المسيح ، كما يقول القديس بولس: «هناك خدم مختلفة الانواع ، لكن الرب واحد، واعمال مختلفة الانواع ولكن الله واحد، الذي يعمل الكل في الكل » (١ كورنثس ١٢ : ٥-٦) .

تعريب **فؤاد ايوب**

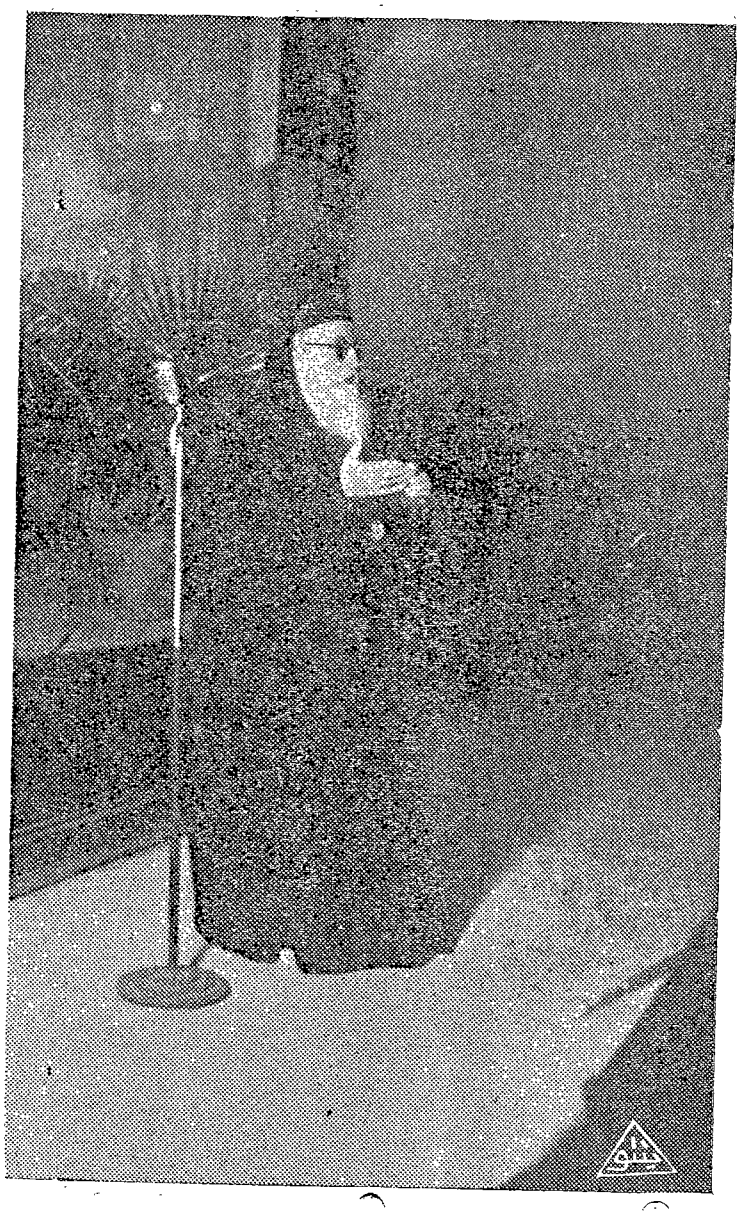

صاحب السيادة المتروبوليت ايليا الصليبي

مطران بيروت وتوابعها الجزيل الابر والفائق الاحترام

ننشر في ما فوق رسم سيادته في موقفه التاريخي اثناء حفلة الحركة السنوية التي اقيمت في بيروت . وقد اعلن فيها عن ثنائه على الحركة وتأييده لها ومنحه لها بركته الرسولية وجعل جمع الحاضرين الغفير شهوداً على اعطائه للحركة في بيروت قطعة ارض من املاك الوقف لتبني عليه « النادي الارثوذكسي » المرتجى .

وقد زار وفد من الحركة سيادته فاكد لهم مراراً وتكراراً عزمه على تقديم الارض في اقرب وقت ممكن. و « النور » باسم قرائها وبلسان كل ارثوذكسي مخلص تقدم بليغ شكرها لصاحب السيادة وترجو ان يحقق وعده العلني في القريب العاجل وتطلب له من المولى الصحة والعافية والرفاه .

مـــــات بردياف

نعت اخبـــار فرنسا وفاة الكاتب الكبير والفيلسوف الروسي الشهير نيقولا برديايف عن ٧٤ سنة وقد توفي فجأة عندما كان منكباً على التأليف والمطالعة .

ان حياة نيقولا برديايف وفلسفته هما شهادة لحيوية المسيحية الارثوذكسية ومقدرتها على ابداع فكر ديني عميق مجدد .

ولد الفقيد في مدينة « كياف » عام ١٨٧٤ من عائلة شريفة . وبعـد ان دخل المدرسة العسكرية تركها . تسجل في جامعة كياف حيث درس العـلوم الطبيعية والحقوق ثم اتجه نحو الفلسفة الاجتماعيـــة فتتلمذ فكرياً لكارل ماركس فيلسوف الشيوعية المادية ونيتشه وسواهما وتأثر كثيراً بفلسفة ماركس ونشر عدة دروس في الاشتراكية فنفته السلطة القيصرية الى شمالي روسيا مع بعض عمال الثورة الاولى. وفي سنة ١٩٠٣ اخلي سبيله فسافر الى المانيـــة حيث درس في هيدلبرغ وهنـاك اخذ تفكيره يتطور شيئاً فشيئاً نحو المسيحية مع نخبة من اصدقائه مثل العـــالم الاقتصادي المرحوم سرجيوس بولغـاكوف . الذي انقلب ايضاً من الماركسية الى المسيحية فدخل الكهنوت واصبح مدير المعهد اللاهوتي الروسي في باريس والفيلسوف سيمون فرنك اليهودي الماركسي الذي رافق برديايف في تطوره الروحي الفكري واعتنق الارثوذكسية ، وسواهما .

وفي سنة ١٩٠٤ اصدرت هذه النخبة من العلماء والفلاسفة مؤلفاً مشتركا بينت فيه اسباب رجوعها عن المادية التاريخية واعتناقها المسيحية المثالية مع تعلقها بالمبادىء الاشتراكية والديموقراطية التي كان القياصرة يحاربونها ، ثم اصدر فيلسوفنا مؤلفات عديدة قبل الحرب العالمية الاولى واسس وادار عـــدة مجلات وندوات فلسفية . بقي برديايف في موسكو اثناء الثورة الروسية واسس فيها « اكاديمية حرة للثقـافة الدينية » وفي سنة ١٩٢٠ عين استاذاً في جامعة التاريخ واللغات في موسكو . غير ان السلطات السوفياتية بعد ان اوقفته مرتين ابعدته نهائياً عن البلاد في سنة ١٩٢٢

فانتقل الى برلين اولا حيث اعاد تشكيل الاكاديمية الدينية ثم اقام في باريس حيث كان يقوم بنشاط واسع بالتأليف والتعليم ونال شهرة كبيرة في الاوساط الفلسفية فيها خصوصاً وان الاكاديمية التي اسسها كانت قد انتقلت اليها واخذت تصدر مجلة ثقافية دينية وفلسفية شعارها « الطريق » .

وانتشرت مؤلفات بردياف انتشاراً سريعاً في مختلف بلدان اوروبا بفضل الترجمات الفرنسية والانكليزية والالمانية واحتل بردياف محلاً مرموقاً بين قواد الحركة الكيانية المسيحية مثل هيدجر وكير كيغارد وان كانت فلسفته تختلف عن فلسفة هؤلاء اختلافاً بيناً .

فالفلسفة عند بردياف ليست كما يفهمها الغرب معرفة اداتها العقل المجرد انما هي حياة كلها حكمة واتصال الهي واغداق . هي تطمح الى معرفة الله معرفة كيانية حية والى معرفة الكون والانسان بارتباطها الوثيق الداخلي مع الله . هي ترى اذن ان مشاكل الفلسفة الاخيرة دينية صرفة ولا يسع الفيلسوف ان يحلها بصرف النظر عن الايمان والوحي فمشكلة الانسان هي مشكلة علاقته مع الله واستمرار صورة الله فيه وجوابه الحر على نداء الله ومحبته ، فيجد بردياف ان المسيح الذي تمت فيه هذه الحركة الالهية الانسانية هو مصدر كل شخصية انسانية تامة ومفتاح معرفة سر الانسان كما ان المسيح هو ايضاً معنى التاريخ الانساني والكوني . وعلى نور المسيح الانسان الاله والاله الانسان الازلي يحل بردياف او بالاحرى يطرح جميع المشاكل التي يواجهها الانسان في وصوله الى المعرفة المطلقة .

الا ان فلسفة بردياف تظل مميزة عن اللاهوت اذ انها تدرك هدفها بالعقل هي فلسفة لاهوتية صوفية تجمع بين التصوف المسيحي والعلم وتنفجر من كيان الفيلسوف صادرة عن عميق اختباره الروحي . وقد تتوصل احياناً الى نتائج لا تقبل بها الكنيسة الا انها ولا شك تتغذى بروح الارثوذكسية وصوفيتها ولاهوتها . لذلك يجب علينا نحن الشباب الارثوذكسي المثقف ان نطالع كتب هذا الفيلسوف الشهير الذي طبع مؤلفاته الفلسفية بروح الارثوذكسية المجددة تلك الارثوذكسية التي رجع اليها بعد ان تألم بعيداً عنها فقدم لها شهادة رائعة حرة في حياته واعماله وحلل على ضوئها امراض الانسانية اعمق تحليل وآمن وعلم وتنبأ بان المسيحية وحدها قادرة على احياء قوى هذا العالم وان تعتقه من عبودية الفساد الى حرية مجد ابناء الله .

قارع الناقوس

بقلم

فلاديمير كورولنكو

□

تعريب الاستاذ

منير البعلبكي

هذه قصة روسية رائعة عربها الاستاذ منير البعلبكي عن الترجمة الانكليزية ونشرت في جريدة « كل شيء » الاسبوعية (بيروت) العدد الاول السنة الاولى .

○○○

الظلام يلفّ الدنيا بجناحيه .

والقرية الصغيرة الآمنة الى جوار الجدول البعيد ، في غابة من الصنوبر ، تغرق في ذلك الشَفَق الخاصّ بليالي الربيع ذوات النجوم ، عندما يتصاعد الضباب من الارض ، فيزيد ظلال الغابات عمقاً ، ويملأ المطارحَ الطلقة بغمام أزرق فضي . . . كل شيء ساكن ، مفكر ، حزين . واجفان القرية تذبل ويدركها النعاس .

كانت ملامح الاكواخ البائسة سوداء قاتمة لا تكاد تبين . وكانت الاضواء تلمع ههنا وههنا . وبين الفينة والفينة ، كنت تسمع باباً يئن ، او كلباً يعوي فجأة ثم يقلع عن العواء . وكانت الغابة المظلمة المدمدمة تتكشف احياناً عن وجه راجل ، او وجه فارس ، او عن عربة تشقّ الطريق مترنحة متعثرة . . . اولئك هم سكان المزارع المنعزلة ، القاصدون كنيستهم في عيد الربيع الكبير (١) .

وكانت الكنيسة تواجه القرية من على رابية قائمة في وسطها . وكان برجها العتيق الطويل ضائعاً في السماء الزرقاء .

وكان صرير السلم يُسمع في وضوح عندما اخذ قارع الناقوس العجوز ، ميخاييتش ، يصعد الى برج الكنيسة وفي يده فانوسه الصغير المتأرجح في الهواء كنجمة من مكان بعيد . . .

(١) يعني الكاتب عيد الفصح المجيد

لقد كان عسيراً على هذا الرجل الهرم ان يرتقي السلم . فرجلاه لا تسعفانه ، وعيناه لا تريان الا قليلاً . . . ان عجوزاً مثله خليق بأن يكون قد اخلد الى الراحة قبل اليوم . ولكن الله اعفاه من الموت . لقد دفن ابناءه وابناء ابنائه ، لقد شيّع شيوخاً فانين ، وشباباً ناضرين الى مقرّهم الابدي ، ولكنه لا يزال يعيش . شيء مؤلم حقاً . لقد استقبل عيد الربيع مرات متعددات ، وهو لا يستطيع ان يذكر كم من مرة انتظر ، في هذا البرج نفسه ، الساعة الموعودة . والآن شاء الله ، من جديد ، ان . . .

ومضى الرجل العجوز الى فجوة البرج واتكأ على قضبان الدرابزون ، وانشأ يتأمل في مقبرة القرية ، وسط الظلام ، حيث بدت الصلبان القديمة وكأنها تحمي بأذرعها المتطاولة القبور المهملة التي تعطّفت عليها بضع شجرات عارية من الاوراق. وهبت ريا البراعم الطرية على ميخاييتش ، من ادنى ، حاملة اليه الشعور بكآبة النوم الابدي .

ترى اين سيكون في مثل هذا اليوم من العام المقبل ؟ أيقدّر له ان يصعد مرة ثانية الى هذا المرتفع تحت الناقوس النحاسي ، ليوقظ الليل النعسان بقصفه المعدني؟ أم يقدّر له ان يستلقي في الزاوية المظلمة من المقبرة ، تحت الصليب ؟ الله اعلم!... لقد كان هو على استعداد ، ولكن الله اسبغ عليه في الوقت نفسه نعمة الترحيب بالعيد كرّة اخرى .

وهمست شفتاه : « المجد لله ! » فيما تطلّعت عيناه الى السماء المشرقة بمليون من النجوم المتألقة ، ورسمت يده إشارة الصليب . . . . . .

ولكن الوقت قد حان . ونظر ميخاييتش مرةً ثانية الى النجوم ، وخلع قلنسوته ، ورسم اشارة الصليب ، وأمسك بزمام الناقوس . وما هي الا لحظة حتى رجّع هواء الليل الضربةَ المدوّية . وتعاقبت الضربات ، واحدةً بعد أخرى ، مالئة العشية الهادئة المقدسة بأنغامها القوية المترنمة .

* * *

وسكت الناقوس . لقد بدأت الصلاة في الكنيسة . وكان من عادة ميخاييتش ان ينزل ليقف في الزاوية قرب الباب فيصلي ويستمع الى الانشاد . ولكنه ظل هذه المرة في البرج . لقد كان عسيراً عليه ان يهبط درجات السلم . وفوق ذلك ،

فهو يحسّ تعباً واعياءً . واستوى على المقعد ، واستسلم للتأملات وهو يصغي الى اصوات النحاس الذائبة . ولكن فيما كان يفكر ؟ ذلك ما لم يكن يدريه على التحقيق . . . كان مصباحه يخلع على البرج ضوءاً قاتماً وكانت الاجراس لا تزال تتذبذب وترتجف وقد حجبتها الظلمة . وبين الفينة والفينة ، كانت تبلغ سمعه انغام الغناء الصاعدة من الكنيسة ، ورياح الليل تثير الحبال الموصولة بثغور الاجراس الحديدية .

وحنى العجوز رأسه على صدره ، بينما اختلطت في ذهنه الرؤى والخيالات . « انهم يغنّون الآن ترنيمة » . . . وتمثل نفسه في الكنيسة حيث سمع اصوات الاطفال المجتمعين للترتيل ، والأب « ناوم » المتوفي من زمن بعيد ، يقود القوم في الصلاة ، وقد أخذت رؤوس الفلاحين المحتشدة تعلو وتسفل كالسنابل الناضجة في وجه الريح . . . ورأى الى الفلاحين يرسمون اشارة الصليب . . . انه يعرفهم جميعاً ، وان كانوا قد انتقلوا جميعاً الى رحمة الله . . . هناك أبصر وجه ابيه القاسي ، ولمح أخاه يصلي بحرارة . وكان هو ايضاً في الحشد ، يفيض شباباً وقوة ، ويشيع في أعطافه امل لا شعوريّ بالسعادة . . . واين كانت تلك السعادة ؟ . . وفجأة اشرقت خاطرات الرجل العجوز فانكشفت له مشاهد شتى من حياته الماضية . . .

لقد رأى عملاً شاقاً ، وغماً ، وقلقاً . فأين كانت هذه السعادة ؟ ان الدهر قادر على ان يخدّر وجه الفتى الريان ، ويقوّس ظهره القوي ، ويعلمه التأوّه والتنهد كما علم أخاه الأكبر .

وهناك الى اليسار ، بين نساء القرية ، وقفت حبيبته وقد خفضت رأسها في في انضّاع . انها امرأة طيبة ، فعسى ان ترث ملكوت السماء ! كم قد شقيت وتألمت ، هي المسكينة . . . ان الفقر والعمل والهموم التي لا مفرّ منها في حياة المرأة ستذبل جمالها الغض . ان عينيها ستفقدان بريقهما . وبدلا من هذا الصفاء الذي يلف وجهها سيكون الى الأبد خوف كئيب من بلايا غير منتظرة . . . حسناً اذاً ، اين كانت سعادتها ؟ . . . لم يترك الدهر لهما الا ابناً واحداً هو املهما الوحيد وبهجتهما الوحيدة ، ولكنه كان أضعف من ان يحتمل ضروب التجربة والاغواء .

وهناك كان عدوه الثري راكعاً يصلي لله ليغفر له ما قد اراق من دموع اليتامى

الغزار . لقد صلّب على نفسه في حرارة ، وضرب بجبهة رأسه الأرض . . . ان قلب ميخاييتش ليغـــلي في صدره ، وان وجوه الايقونات الداكنة لتقطب لآلام الانسان ، وآثام الانسان .

لقد انقضى ذلك كله وصار خبراً ماضياً . ان العالم لينحصر الآن ، بالنسبة اليه ، في هذا البرج ، حيث تتناوح الرياح في الظلام فتهيج حبال الناقوس . . . وخفض العجوز رأسه الابيض وتمتم : « ليكن الرب الاله هو القاضي وهو الحكم » ، بينما تدحرجت العبرات في رفق على خديه الذابلين .

* * *

ونادى صوت من ادنى : « ميخاييتش ، هيه ، ميخاييتش ! ايكون النوم قد غلب عليك ؟ » .

وانتصب العجوز على قدميه قائلًا : « ماذا ؟ يا الهي ! هل قد نمتُ حقاً ؟ ان شيئاً من مثل هذا لم يحدث من قبل ! » .

وبيدين سريعتين مدرّبتين امسك بالحبال . وجالت جماهير الفلاحين تحته كالنمال ، وخفقت الرايات المتألقـــة بالوشي المذهب في الهواء . . . وطاف الموكب حول الكنيسة (١) ، ولم يلبث النداء البهيج ان طرق مسمع ميخاييتش : « المسيح قام من بين الاموات ! » .

واستجاب قلب الرجل العجوز لهـذا النداء استجابة حارة . . . خيّل اليه ان المشاعل اسطع اتقاداً من المعتاد ، وان الحشد اكثر اضطراباً . وبدت الرايات زاخرة بالحياة ، وجمّعت الريح المستيقظة من رقادها موجات الصوت على جناحيها وحلّقت بها ، لتذيبها في قهقهة الاجراس البهيجة .

لم يقرع ميخاييتش العجوز في يوم من الايام كما قرع ذياك النهار ! لكأن قلبـه قـد تحوّل الى النحاس الموات ، فاذا الاجراس تغني ، وتضحك ، وتبكي ، واذا الالحان تتناغم تناغماً عـــلوياً ، فتصعّد في سماء تغص بالنجوم المتقدة ، لتعود بعد فتنصبّ مرتجفة على الارض .

---

(١) هذه هي دورة « الهجمة » .

وأعلن جرس نحاسيّ قوي قيام المسيح ، فضجّ آخران بضرباتهما المتناوبة المنبعثة من ثغريهما الحديديين ، في صوت ضخم عريض وفي فرحة وبشر ، « المسيح قام ! المسيح قام ! » .

وكأنما خشيَ جرسان صغيران ناعما النبرة ، رقيقا الصوت ، ان يتخلفا عن الركب فأسرعا الى الالقاء بنغماتهما وسط زحام الاصوات القوية ، وطفقا كالاطفال الصغار يغنيان في سرعة وفي جذل : « المسيح قام ! » .

وبدا البرج العتيق وكأنه يرتجف ويرتجّ . وردّدت الريح المصفقة بجناحيها في وجه قارع الناقوس العجوز : « المسيح قام ! » .

ونسي القلب الهرم حيـــاته الملأى بالهموم والاحزان . نسي قارع الناقوس العجوز ان حياته كانت منحصرة في حدود هذا البرج الموحش الضيقة ، وانه وحيد في هذا العالم ، كجذع شجرة حطمتها العاصفة . . . لقد سمع هذه الاصوات المغنية والمعولة التي كانت تصعد الى السماء ثم ترتدّ الى الأرض الحزينة ، وخيل اليه انـه محاط بابنائه واحفاده ، وانه يسمع اصواتهم الحلوة ، وان نغمات صغارهم وكبارهم تنسجم في جوقة متآلفة ، فهي تغني له لحن السعادة التي لم يعرفها قط في حياته . . . وجذب حبال الناقوس ، بينما كانت الدموع تتدحرج على خديه ، وقلبـه يخفق في شدة وعنف مع وهم السعادة . . .

وكان الناس يصيخون تحت البرج ويقول بعضهم لبعض ان ميخايلتش العجوز لم يقرع يوماً باحسن مما قرع الآن .

وفجأة اطلق الناقوس نغماً مضطربا أصيب بعـده بالخرس . وغنت الاجراس الصغرى لحناً لم يتم ، ثم اقلعت عن الغناء وكأنها استشعرت في ذات نفسها الخجل ، لتنصت الى الصدى الكئيب الذي احدثه ذلك النغم المتطاول المرتعد ، يجود بانفاسه في الهواء . . . وسقط القـــارع العجوز على مقعده مجهداً مكدوداً ، وتحدّرت دمعتان متباطئتان على خديه الشاحبين . . .

وأهاب مناد بالقوم : « هيه ، هنـاك ! استعيضوا منه برجل غيره . لقد ضرب قارع الناقوس العجوز ضربته الاخيرة ! » .